الخزانة المخيفة

أُطفئت الأنوار ... دقت الساعة الثانية عشرة ... ساد المكان صمت رهيب لعدة ثوان ...
بعدها تلألأت الآنوار ... و علت الأصوات بالتهنئة لقدوم العام الجديد ... زادت الضحكات ... و ارتفعت أصوات الموسيقى ... و الجميع بدأوا يتمايلون ... و يتسابقون لتناول الطعام و الشراب ...
لكن " سوسن " جذبت زوجها بعيدا ... و همست فى أذنه قائلة : " كل سنة و أنت طيب يا حبيبي ... كم كنت أتمنى أن يبدأ العام الجديد و نحن في شقتنا ... حجرة فى بيت والدك لن تتسع لنا ... خاصة أنه لم يبق غير ثلاثة أشهر فقط و يأتي ضيف جديد " .
عندئذ جذبها " أحمد " نحوه ... و وضع قبلة على خدها ، و هو يقول بفرحة :
" ثلاثة أشهر و يزداد عددنا ... و يأتي ولي العهد ... و أصبح أبا ... صدقيني يا زوجتي العزيزة ... أنا مثلك تماما ... كل يوم أحلم بالشقة الجديدة ... و لكن ...
" العين بصيرة و اليد قصيرة " من أين تأتي النقود ؟
أسرعت " سوسن " بوضع يدها على " فم " زوجها و هي تقول : "أرجوك لا تنطق ... الحل موجود ... أنظر ... إنها ... و أشارت إليها ... هنا يوجد الحل !!"
شرد " أحمد " لحظة ثم قال :

"تقصدين " الخزانة الفضية " ... المطعّمة بالصدف ... حقا إنها تحفة فنية رائعة ... لها قيمتها . و لكنها مخيفة " .

تنهدت " سوسن " ثم قالت : " إنها ثقيلة جدا ... ممتلئة ... منذ أيام كنت أنظف الحجرة ... رفعتها لأنظف تحتها ... فلم أستطع حاولت هزها ... إنها ممتلئة بالرزم الورقية ... و القطع الفضية ... و المشغولات الذهبية ... و المجوهرات النادرة " .

ظهرت علامات الدهشة على وجه " أحمد " ... و قال : " و كيف عرفت ذلك ... هل فتحتها ؟ و رأيت ما بداخلها ؟ .

هزت " سوسن " رأسها ... علامة النفى ... و قالت : " ليت معي المفتاح ... و لكن عرفت ذلك من صوت الرنين المكتوم الذي سمعته " .

علا الضجيج ... و صخبت الموسيقا ... و بدأ الرقص ... فجذبت " سوسن " زوجها الى " الفراندة " و قالت له : " ننتهز الفرصة الآن و نفتحها " .

هذه " الخزانة " سوف تحل جميع مشاكلنا يجب أن يعرف والدك ذلك ... و كل منا يأخذ نصيبه ... نحن نشتري الشقة ... و أختك " عفاف " تتزوج ... و والدتك

تدخل المستشفى لاستكمال علاجها ... و والدك يؤدي فريضة الحج التي يتمناها " .

نظر " أحمد " إلى زوجته و ربت على كتفها بحنان و حب وقال : " من الأفضل لك يا زوجتي الحبيبة ، إلا تشغلي نفسك بأمر هذه " الخزانة " الأن ... فمحظور علينا فتحها " .

عندئذ علا صوت " الأم " تنادي عليهم ليأخذوا نصيبهم من الحلوى و الطعام قبل أن ينفذ .

تقدمت " سوسن " ، و من خلفها زوجها " أحمد " ... أعدت له طبقا من الحلوى التى يحبها ، جلس على المقعد القريب من المدفأه ... مدت يدها و أخذت كوبا من العصير و قدمته له .. و سحبت مقعدا و جلست إلى جواره ... و هي تداعب قطتها الصغيرة و تقول :

" عما قريب سيأتي من يلعب معك يا " بوسي " ... و قدمت لها قطعه من البسكويت " .

و قالت لزوجها : " عجيب أمر والدك ... لماذا يمتنع عن فتح الخزانة الفضية ؟ " .

أخذ " أحمد " رشفة من العصير ثم قال مداعبا :

"إنه يخشى لعنه الفراعنة " .

هو نفسه لم يفكر لحظه فى فتحها ... أو معرفة ما بداخلها ... لقد سلمها له والده " جدى " و حذّره من

فتحها ... و أخبره أن بها طلاسم و تعاويذ لا يحق له معرفتها ... بل يجب أن يحتفظ بها مغلقة – كما هي – كقطعة فنية نادرة لتجلب له الحظ ... و السعادة ".

هزت " سوسن " رأسها غير مقتنعة بما يقول زوجها ... و تمتمت قائلة : " و لكنها ثقيلة ... و لها رنين مكتوم ... و ممتلئة ... و ما دخل " الفراعنة " فى خزانة جدك ؟ " .

أخذ " أحمد " رشفة من العصير ... وقال : " منذ عدة أسابيع تلاعبت بى الأفكار مثلك ... و أغراني شيء ما بداخلى لفتح هذه " الخزانة " فضول شديد دفعني لمعرفة ما بداخلها قبل هذه الليلة ، قضيت عدة ليال أفكر في الوقت المناسب لفتحها ... و جاءت الفرصة عندما سافر " والدي " لزيارة عمتي " فتحية " .

أثناء سكون الليل ... بعد أن نام الجميع ... تسللت على أطراف أصابعي حتى وصلت إليها ... أخذت يدي ترتعش ... و شعرت بخوف مفاجيء ... لكني تشجعت و فككت الرباط الحريري ... و ألقيت به على الأرض ... وجدت قفلا أبيضا صغيرا ... أخرجت سلسلة المفاتيح من جيبي ، لأجرب أيها يفتح هذا " القفل " الصغير !! .

ارتعدت يدي بشدة ... سقطت سلسلة المفاتيح على الأرض ... أنحنيت لألتقطها ... و فجأه شعرت بيد تمسك

كتفي بقوة ... شعرت برعدة ، أغمضت عيني و استسلمت لمصيري ... فسمعت صوت " أمي " تقول معاتبة :

" هل جننت " يا أحمد " لتخالف أمر والدك ... و تعرّض نفسك للهلاك ... و الضياع و تسير فى طريق الضلال ... و تجلب على نفسك الشقاء ...و العذاب "

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... اذهب يا ولدي الى حجرتك ... و لا تقترب من هذه " الخزانة " مرة ثانية " .

تعثرت خطواتي و أنا أقول لها:

" يا أمي " ... بعد عدة أشهر سيأتي ضيف جديد ... و المكان ضيق ... و نحن فى أشد الحاجة إلى شقة واسعة .. " الخزانة " ممتلئة ... و أنت ... وأختي ... و أبي ... و الحل هنا ... " .

دفعتنى " أمي " أمامها عدة دفعات و هي تقول :

" يا بني ... أنت ولدي الوحيد ... و أخاف عليك من " لعنة الفراعنة " ... أخشى أن تصاب بسوء كما حدث لعمتك " خديجة "... و عمك " شوقي " .

عمك " شوقى " حاول نقل " الخزانة " من مكانها ... فقط ... فسقطت على رجله و قطعت أصابعه ... و عمتك " خديجه " أصابها الشلل ..." .

مدّت " سوسن " يدها ، لتأخذ الكوب الفارغ من زوجها و هي تقول : " غريب أمر هذه " الخزانة الفضية " ... هل تعتقد أن كل من يحاول فتحها ستنزل به اللعنة المدمرة ؟ .

هز " أحمد " رأسه و هو يقول :

" إنهم يقولون ذلك ... و لكن الله أعلم بالحقيقة "

مر أسبوع على هذا الحديث ، و " أحمد " مشغول جدا بأمر " الخزانة الفضية " ... قرر أن يذهب إلى عمته " خديجة " ليستفسر منها عن الحقيقة ...

وصل إلى منزل عمته " خديجة " و طلب منها أن تقص عليه قصة " الخزانة " ... و ماذا حدث لها عندما حاولت فتحها ... ؟ .

تنهدت العمة ... ثم قالت : " ليتني ما اقتربت منها ... و سمعت نصيحة أخي ... والدك ... " .

ذات يوم خرج والدك و والدتك لقضاء بعض الطلبات ... وسوست لي نفسي الأمارة بالسوء أن أسرع بفتح " الخزانة " أثناء غيابهم ... فطلبت من أختك " عفاف " أن تعد لي كوبا من " الشاى بالحليب " ... و عندما دَخلت المطبخ أسرعت إلى غرفة والديك ... و اقتربت من " الخزانة ... شعرت برهبة شديدة ... أسناني أخذت تصطك ببعضها البعض ... رفعت يدي لأفك

الشريط الحريري المربوط به " الخزانة " ... وجدت يدي ثقيلة ... حاولت أن أرفع الخزانة ... و أضعها على الأرض فوجدتها ثقيلة ... و فجأة سمعت صوت والدك يصرخ قائلا :

" ابتعدي عن الخزانه " يا خديجة " ... سقطت على الأرض و فقدت الوعي .. و لا أدري ماذا حدث بعد ذلك ... من يومها و أنا طريحة الفراش ... كما ترى . "

عاد " أحمد " من زيارة " عمته " ... دخل حجرته ... لم يكلم أحدا ... ظل لفترة صامتا ... جالسا على المقعد الكبير لا يتحرك ...

اقتربت منه زوجتة " سوسن " و قالت : " هل أعد لك طعام العشاء ؟ " .

هز " أحمد " رأسه علامة الرفض .. و لم ينطق بكلمة .

أسرعت " سوسن " إلى المطبخ ... و أعدت له كوبا من الشاي و قدمته له ... و جلست إلى جواره .. لعلها ...

مرت لحظات كأنها ساعات ... و فجأة بددت سكون الحجرة بقولها : " هل تريد مزيدا من السكر ؟

هز رأسه قائلا : " لا ... بل أريد معرفة ما بداخلها ... الفضول يقتلنى !!! " .

قالت " سوسن " بثقة و شجاعة : " هل أحضرها لك ... أنا لا أخشى " لعنة الفراعنة " ... أستطيع فتحها هل تسمح لي ؟ .

انتفض " أحمد " واقفا ... و جذبها من ذراعها و هو يقول : " لا ... ابتعدي عنها تماما ... أريد لولدي أن يعيش ... سوف أتولى أنا أمرها ... حتى أستريح ... لقد هرب " النوم " من عيني و القلق و الغموض و الفضول ... يدمرون حياتي .. يجب أن أعرف ما بداخلها ..

لن تكون أكثر غموضا من " الدنيا " التي نحياها ... الغموض يحيط بالإنسان من كل مكان لا نعرف حقيقة ما بباطن الأرض و ما بداخل الأنهار ... أو البحار أو المحيطات .. لا نعرف فحواها ...

الحياه حولنا تنطوى على أسرار ... و ألغاز ... و غموض لا يعلم حقيقتها الا الخالق وحده (عز و جل) و نحن نحاول معرفة الأسرار ... فلا بد أن أحاول ...

لقد قررت فتح " الخزانة المخيفة " :

" العمر واحد ... و الرب واحد ... و الحافظ موجود ... و لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. فالقدر المكتوب لا نستطيع أن نهرب منه ... و حياتنا ما هي إلا سلسلة من الاكتشافات " .

نامت الزوجة من شدة التعب و الإرهاق ... لكن الزوج لم يغمض له جفن ... انتظر حتى نام الجميع ... تسلل على أطراف أصابعه ... فتح باب حجرة والده حمل " الخزانة " و خرج بها إلى الصالة ... وضعها فوق المنضدة ... و أحضر سلسلة المفاتيح ... استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ... و قرأ المعوذتين ... و آية الكرسي ... حتى يكون فى أمان ...

أخذ يجرب المفاتيح ... انفتح القفل .. ارتعدت يده قليلا ... ذكر أسم الله (عز و جل) .. " بسم الله الرحمن الرحيم " .. ثم فتحها .. وجد بها ما لم يخطر على بال أحد ...

رزمة كبيرة من الخطابات مربوطة بشريط من الحرير الأحمر .. و مطرقة من الفضة .. و فأس صغيرة من الذهب الخالص .. و كتاب القرآن الكريم و ورقه مطوية .

فتح الورقة و قرأ هذه العبارة :

(من ينشد السعادة فليحطم الصعاب و من يداوم الطرق تُفتح له الأبواب ... و من يريد الأنيس و الجليس يقرأ هذا الكتاب، كتاب (القرآن الكريم) ، و من يفتح هذه الخزانة شجاع ... أمره يطاع ... يترحم علىّ وعلى جدته ... و يقرأ لنا الفاتحة ... و يكون الفأس الذهبي من نصيبه ...) .

قرأ " أحمد " الفاتحة على روحيهما ... ثم فك الشريط الأحمر و قرأ أحد الخطابات ...

(كان خطابا غراميا موجهاً لجدته ... يعبر فيه " الجد " عن حبه ... و شوقه ... و هيامه ... و أن الحياة ليس لها طعم بدونها ... فالحب مثل الزرع يحتاج إلى حماية ... و رعاية و اهتمام فاذا أهمل ذبل ... و مات ... و إذا مات الحب أظلمت الحياة) ...

وعندما انتهى " أحمد " من قراءة الخطابات ضرب كفا على كف و قهقه بصوت مرتفع ...

اندفع إليه الجميع ... وجدوا " الخزانة المخيفة " مفتوحة ... و كل ما بها ملقى على المنضدة ... و " أحمد " يردد و يقول :

" ما أسعد أيامك يا جدي ... حقا إن " الحب الصادق " هو الكنز الحقيقي الذي يجعلنا نعيش ... و نواجه الصعاب ... " .